

تشريع ولز للزواج

وأثره الاجتماعي

للأستاذ خليل جمعه الطوال



إن الإنسان مدني بفطرته ميال بطبيعته إلى تفهم نوااميس الكون التي تحيط به ، والوصول إلى عللها ونتائجها ؛ وهو إلى جانب ذلك قلما يطمئن إلى نظم معينة ، أو يستقر على حالة ثابتة . ولعل مسألة الهيئة الاجتماعية كانت أولى المسائل التي أكب على دراستها دراسة جدية لآلها من الأثر البالغ المباشر في مشاكل حياته اليومية التي يصطدم بها صباح مساء حتى لينوء بحملها . وإذا كان لا بد من نتيجة مرضية لدراسته هذه التي أعارها جزءاً من اهتمامه غير يسير ، فقد انتهى إلى أن المجتمع يرتكز على نظم واهية لاتعاشي البيئة في سرعة تضخمها ، ولا الأحوال في استمرار تطورها ، فجاءت هذه النتيجة حدثاً جديداً بل صدمة عنيفة ألقت الرعب في قلوب الكثيرين من علماء الاجتماع الذين انقسموا إزاءها إلى ثلاث فرق رئيسية لكل منها في الأمر وجهة نظر خاصة لا تقرها الفرقتان الأخريان وهي : (١) فرقة المتشائمين (٢) فرقة المحايدين (٣) فرقة التفاؤلين

فالفرقة الأولى : هم الذين تسرب إليهم اليأس من الإصلاح فآلقوا جبل الأمور على غاربها وانكفأوا على أنفسهم يتوقعون انطلاق رصاصة الدمار الأخيرة التي لا يستطيعون لدورها سييلاً ؛ فمنهم من مال إلى الزهد عن عقيدة دينية واكتفى من العيش باليسير ؛ ومنهم من لزم عقر يئنه بصباح الفجر بشكده ويشحن الزمن بزفريات يؤسه

والفرقة الثانية : وهم سواد المجتمع الأعظم ، فقد شغلهم أعمالهم الشخصية وسعادتهم الوقتية التي راحوا يهتلون لها السوانح كلاً طرأت - عن التفرغ لدراسة أحوال المجتمع ، ووقفوا من قلب أوضاعه واضطراعه موقف المتفرج في حومة القتال لا يدون رأياً ، ولا يدفعون عادية ، ولا يقرون أمراً

أما الفرقة الثالثة فهم الذين هالهم ما رأوه في جوف هذه النظم والأوضاع من البؤس السريع إليهم ، فأحدث هذا النظر في نفوسهم آثاراً شتى ليست على مستوى واحد من العمق والتأثير ، ولذلك هبوا من غفوتهم واستيقظوا من رقدتهم مشمرين للأمر ليدفعوا عن البشرية عدوانه وليسدوا ثلمة الشقاء قبل أن تتسع ، فمنهم من استل سيفه وقام بحركة اصلاح عنيفة ، كما حدث في روسيا الشيوعية وإيطاليا الفاشية . ومنهم من لزم حد الاعتدال فقام يدعو تارة بلسانه وطوراً يبراعه كأفلاطون ومودر وسنسر وموريس وبرناردشو وإيسن وكثير غيرهم من أساطين علم الاجتماع ومن كبار دعاة هذا الزمط في انكلترا اليوم الكتائب العالمي الفذ هربرت جورج ولز الذي جاءت آراؤه ونظرياته خلاصاً وافية مضافية ونتيجة صادقة صائبة لدراسات سابقة ومتقدمة

دعوة ولز

صنف ولز قراية الحسنيين كتاباً بأسلوب يستهوى القارئ ويفرجه ، بعيداً عن التعمق والاسفاف ، خالياً من اللبس والابهام ومستهجن اللفظ وزركشة العبارة التي قد تزيد الفكرة تعقيداً وتجعل المعنى ملتائماً سقيماً ، وذلك لأنه يكتب مؤلفاته للخاصة والعامة على السواء ، ويدعو لآرائه رعاة القوم ودهاءهم كما يدعو سراً للنساء وأمرأته . وقد تناول في كتبه معظم البحوث الاجتماعية اصطليحها بأسلوب الأدب الانكليزي الحاضر من سياسية وعلمية وتشريحية ، ولا سيما البحوث الدينية إذ تناول كثيراً من مسائل الدين المسيحي وعقائده بمشرط النقد والتجريح ، فجردها بطلر علمية من معظم السفاضة والترهات التي حاكها حولها إنكشاف الدين من القساوسة والرهبان ليجعلوا منها ذريعة إلى أطباء التشخيصية وأغراضهم الذاتية . وله في التاريخ مؤلف لم يدافع فيه أن نسج على متواله ، لا ترى فيه أثراً للدعوة القوية والمصيبة الوطنية ، إذ هو عدوها الأزرق وخصمها الألد ، الجهر والخفاء . وما يستوقف النظر ويدل على سعة علمه ومعمق بنتائج الظروف والتطورات قبل وقوعها هو صدق تكهنه كثير من الحوادث ، فقد تنبأ عن مصير الاشتراكية الحالا وعن الحرب الكبرى فجاء حدوثهما دليلاً على صدق نبوءته و

البقاء ونوع من حكم الطبيعة على الضعيف بالموت والقضاء . وعليه فلا سبيل لتقدم البشرية ، وقد أصبحت مشاكها تشغل الحيز الأكبر من عقول مفكرها ، كثنوبهور ، ونيتشه ، وبرناردشو ، وهكسلي إلا إذا أسندت أمرها وألفت مقالها ووكلت بشؤونها حكومة عالية واحدة تسيطر على هذه الحركة وتبديدها ، لتلاصيح الهيئة الاجتماعية أشبه بأجعة للافتراس . ويتم ذلك بمنعها الضعيف عن التناسل والتكاثر وجعلها عدد الوفيات منه يزيد في كل عام على المواليد زيادة مطردة ؛ وهكذا فلا تمضي حقبة من الزمن حتى تصبح الهيئة البشرية بكاملها كتلة واحدة من القوة متجانسة الأجزاء متماسكة التدرجات ، ولا يكون بعد ثمة تنازع على البقاء ، الذي يشبهه ولز بشوكة في جانب حق الضعيف والمدنية ، أو حكمة في لهاء العدل والإنسانية .

فولز في هذا الموضوع يناقض زميله ومعارضه برناردشو الذي يذهب إلى أن خير وسيلة للخلاص من هذا الضعيف هي أن ندعه فريسة في يدي القوي ونتركه يتمرغ في حمأة الموبقات والشرور المهلكة التي يتقاد إليها بضعفه ، وهكذا يكون كن بحث عن حقه بظلمه

أما كيف يتسنى للحكومة إخراج ما يقترحه عليها من الآراء إلى حيز العمل فيراه في أن تهيمن على الزواج وتجعله شريعة مدنية لا دينية ، وخاضعاً لقوانين معلومة تضمن بها صيانة المجتمع من الضعف والانهلال

ويقول بعضهم تعليقاً على آراء ولز : إن بعض الناس — وقد رأوا أنه يسلبهم بشريته هذه حق الزواج وهو جل ما بقي لديهم من ذلك التراث النفيس الذي ورثوه عن تلك الامبراطورية الرومانية القديمة ، يوم كانوا فيها قابضين على زمام السلطتين الدينية والمدنية ومن ورائهم محكم التفتيش بسراديبها الخفية ، وأقبائها الوحشة — أخذوا ينسبونهم إلى الكفر والاحاد والجنون ، لا لأنه هتك ستر الدين وخرج على عقيدة من عقائدهم الجوهرية ، بل لأنه أذاقهم مرارة الحق إذ غمز مطامعهم الشخصية ، ودحاو أن يتزع من أفواههم لقمة دسمة يرون فيها وهم يتشدقون بمعضنها

بصيرته . وعلاوة على ما ضمنه هذه الكتب من الآراء السديدة التي قضى في دراستها طول العمر وورق الشباب فقد كتب على صفحات الجرائد والمجلات كثيراً من المقالات التي كان ينتزعها من صفحة الحياة اليومية ، وتعليقها عليه مستلزمات البيئة الاجتماعية وخلاصة القول أن ولز يدعو في جميع كتاباته « البيولوجية » و« السيكولوجية » إلى مقت الحروب وتخطيم آلائها المدمرة وإلى إزالة الاستعمار والروح الوطنية ، وينادي بالحرية والعلم والعالية ؛ وهو في دعوته هذه إنما يهيم السبيل السوي للحوادث التي لا بد من وقوعها في المستقبل القريب

أما خير كتب ولز في هذا الموضوع وأحدثها فهو كتابه لطوبى المصرية Modern utopia الذي يرى به إلى إيجاد مدينة كبرى فاضلة لتكون وطناً للهيئة الاجتماعية بأسرها ووافية بمحاجات سعادة البشرية ، وقد رشحت مادة هذا الكتاب من دراساته فلسفة الأفلاطونية التي تغفل في ثناياها واتسم بطابعها . ولز في هذا الكتاب آراء طريفة في المرأة والزواج أعرضها في صفحات الرسالة القراء لا لأنها تلام روح عصرنا وتتمشى مع حضارتنا ، ولا لأنها وقعت من نفسى موقع القبول لاستحسان ، بل لأطلع جمهور القراء على ناحية جديدة من مناحي تفكير الغربي

يرى ولز أن ناموس الطبيعة في كائناتها قائم على أن تتوالد تكاثر ، وعلى أن يفترس القوى الضعيف بأنياب محددة وغالبية طبقاً لنظام تنازع البقاء وبقاء الأفضل ، وما الحياة في نظره ' حلبة تتصارع فيها الكائنات الحية على اختلاف أنواعها جناسها فيخرج منها القوى ظافراً منصوراً ، ويولى الضعيف بزماً مكسوراً . وليس ما نشاهده من فتك الإنسان بأخيه في هل أفريقيا وغابات الهند وفي جزر زيلندا أو ما يماثل بين وب الأسكيمو التي تقتات باللحوم البشرية حيث يقيمون كل يوم مجزرة هائلة من بني الإنسان تنفطر لهولها القلوب لامتد ، وتسح لها السيون الجوامد ، أو ما نشاهده من تطاحن هم والشعوب على استعمار الأمم الضعيفة ، واقتسام ثروتها ؛ ن فتك الحيوانات بعضها يعض — إلا مظهر من مظاهر تنازع

الطوبى

لا يحق للزوجة في حالة زواجها من الرجل زواجاً مدنياً بالشريعة الوزية أن تطلب طلاقها منه إلا إذا أقامت عليه البينة أنه سيء الخلق فظ الطباع يعاملها معاملة قاسية ، أو أنه قال لفراشها ومنصرف عن الاهتمام بأمرها إلى السكر والدعارة والفسق ، إلى ما هنالك من الصفات المستنكرة ؛ فتي توافرت هذه الأسباب أو بعضها يتقيد كل من الزوجين برفيقه مدة معلومة وذلك حتى يصبح أصغر أولادها غنياً عن عناية أمه به ، وبعدها يتم الطلاق . ويحق لكل منهما أن يتزوج ثانية بمن يريده . على أن لا يميل حقيقة إلى الطلاق ؛ وذلك لما ينتج عنه للأسرة — وهي التي تمثل الهيئة الاجتماعية بأصغر أشكالها — من وخيم العواقب التي تفت في عضدها وتجعلها مشوشة النظام ، مفككة الأوصال ، واهية الروابط التي ترتبط بها أفرادها ربطاً محكماً ؛ ولكنه يستحسنه في مثل هذه المناسبات الاضطرارية ، والأحوال الشاذة لعله أن ما ينتج عن عدمه من تنفيس حياة الزوجين أضر بهتاء الأسرة من وخيم عواقب الطلاق

الزواج المؤقت « التمتع »

يبيح ولز « التمتع » في كتابه : « الطوبى العصرية Modern utopia وهي أن يتزوج اثنان لمدة أربع سنوات أو خمس مثلاً وبعدها يكون لهما الحق في الانفصال أو في تجديد ثانية على ألا يكون لهما الحق في التنازل في مثل هذا النوع من الزواج المؤقت

مساواة المرأة بالرجل

يقول ولز إن مساواة المرأة بالرجل وعدمها من الأمور الرثية التي كانت ولا تزال مثار البحث والاختلاف بين كبار المفكرين والفلاسفة . فقد ذهب أفلاطون قديماً إلى أن المرأة خلة وهي غاية بنفسها وموازية للرجل في الحقوق والواجبات ، و أمها حرة في جميع أمورها وتصرفاتها لا فرق بينها وبين الرجل إلا في الجنس فحسب ، فباب العمل والتنافس على الجاه والثر يجب أن يكون مفتوحاً على مصراعيه للجنسين على السواء

هيئة الدين وجلاله ، وسلاح الايمان وسطوته ، ولأنه ليس لأكثرهم أيضاً من حرية الفكر وانطلاق الفهم ما يدركون به كارثة الهيئة الاجتماعية التي تنتج من الزواج في غالب الأحيان . ويقول أيضاً بأن الزواج في عرفهم ليس إلا رباطاً مقدساً لا تبلى جدته ولا تنحل عقدته لسبب من الأسباب إلا بالموت ما دام الكاهن قد أعطى الزوجين بركته القدسية وربطهما ببجالة الأزلية فولد إذاً من أشد خصوم البابوية خاصة والكنيسة الرومانية عامة — وهي التي يسميها بالكنيسة الأفلاطونية لا بينها وبين طبقة أفلاطون الحاكمة من العلاقة المشتركة من حيث الزواج — لإصرارها على أن الزواج لا يتم إلا بالإنكسار الذي يضعه هو من الأهمية على الهامش فقط .

أما خلاصة ما يضعه من التشريع : فأن يكون طالب الزواج بالغاً سنّاً تؤهله لذلك (الرجل ٢٧ سنة ، والمرأة ٢٠ سنة) مؤدياً ما عليه من الديون والضرائب القانونية ، ذا دخل ثابت معلوم — تحدد الحكومة نهايته الصغرى — يمكنه من أن يعيش مع زوجه وأولاده عيشة رعية ، وذا شخصية فعالة قادراً على العمل ، وألا يكون مجرمًا عند زواجه ، ومكفراً عن الأجرام التي سبق أن ارتكبها ، وبالفأ من التهذيب درجة عالية . على أن أهم هذه الشروط أن يكون كلا الزوجين خالياً من الأمراض المعدية والوراثية كالسل والجنون والسرطان .

هذه هي الشروط الأساسية التي يريد ولز وضعها ، ويشترط على كل من طالب الزواج أن يقدم بها شهادة للجنة المسؤولة عنه ، وهذه بعد أن تطلعها وتبحثها تعين لهما يوماً معلوماً يحضران فيه لإجراء بعض المراسم القانونية لكل منهما بافتراد عن رفيقه ، وبحضور الشهود والمميزين ... وكل اثنين يتعاقدان على غير هذه الكيفية يكون عقدهما فاسداً بحكم القانون ، وترتب عليهما الحكومة عند أول مولود لهما مبلغاً مقررًا من المال يدفعانه للخزينة حتى يبلغ المولود سن الرشد ، وذلك لقاء عنايتها به ، وضماناً لمستقبله ، وجزاء لتحديثهما القانون ، وذلك بعد أن تمنعهما من أن يتناسلا مرة ثانية

الحيرة والتردد وهو أيضاً كما يشاهد القارئ، يخالف آراءه السابقة
بعض المخالفة في شدة تحفظه

المرأة والحكومة

ينظر وزير إلى الأمومة نظره إلى وظائف الحكومة، ولذا
يريد أن تدفع الحكومة لها عند كل ولادة مبلغاً مقررًا من
المال يزيد بزيادة مائتة من الأولاد، وتبقى مستحقة لهذا المبلغ حتى
يبلغ أصغر أولادها سن الرشد، وذلك لكي تصرفها عن التطلع
إلى الوظائف المدنية. وهي بهذه الطريقة أيضاً تشجع على الزواج
أولئك الذين يحجمون عنه بسبب الفقر وتتخذ من هذه الشقاء
والبؤس الأرامل اللواتي ينفصلن عن الحياة الزوجية بموت
أزواجهن ولا يكون لهن من المال ما يقيم بأودهن وأود أولادهن
حيث يصبحن فريسة تنتاشها غالب البؤس وبرائى الفقر،
أو يطوحن بغافهن وشرفهن في سوق الدعارة والمورقات
ولول عدا ما تقدم آراء متطرفة في شيوعية النساء وفي النظرية
اليوجينية أو التأصيل لآرى ضرورة للتبسط فيها لأنها تنبؤ عن
الدوق العربى الذى لم تفسده الحضارة الغربية بمد
فيلس جمة الطرال

لجنة التأليف والترجمة والنشر

سيرة السيد عمر مكرم

لؤلؤها الأستاذ محمد فريد أبو حبيب

سيرة جلية من سير الزعامة الشعبية وصفحة رائعة من
صحف الجهاد القومى خلال القرن الثامن عشر حتى فاتحة عهد
محمد على عندما اجتمعت كلمة الشعب على اختيار ملكه المحبوب
جد الأسرة الملكية الكريمة

والكتاب مزين بالصور التاريخية

ثمنه ١٠ قروش عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة بشارع الكرداسى رقم ٩

ومن المكاتب الشهيرة

كما أنه أباح للمرأة التي في الطبقة الحاكمة حق ممارسة الألعاب
الرياضية والتدرب على حمل السلاح في سلك الجندي. ولكن
أرسطوطاليس ذهب إلى عكس هذا الذهب وقال: لم تخلق المرأة
إلا لتحفظ النوع من الفناء، وإن هي للرجل إلا أمة صاغرة
تسير بإرادته دون أن يكون لها حق الاعتراض عليه؛ فهو
ينكر على أفلاطون مساواته للجنسين بلهجة شديدة ملؤها المرء
والاستخفاف. أما هو وإن كان له مذهب ثالث وسط بين هذين
الذهبين إلا أنه يفضل النظرية الأفلاطونية على تلك الأرسطوطاليسية
التي يعيب على العرب خاصة وعلى الشعوب الشرقية عامة شدة تعصبها
بما والعمل بها لما هم فيه من التأخر والانحطاط، على حين أن
شعوب الغربية وهي التي تعمل بالنظرية الأفلاطونية قد قطعت
سوطاً بعيداً في مضمار المدنية

يحمل وزير على العرب مثل هذه الحملة الشعواء كشأن غيره
من الشعوب الذين يحاولون إفساد التاريخ العربي والنيل من المدنية
إسلامية التي ظلت تسود العالم مدة من الزمن ليست قليلة، وهو
دري أن أوروبا بأسرها قد أخذت تضيق قليلاً قليلاً من نطاق
ساواة المرأة بالرجل بعد أن أطلقت لها العنان إلى جانب الرجل
ة قرن ونيف، وذلك لما انغمست فيه من فساد الأخلاق
خشية من أن يتسرب هذا الداء منها إلى بنينا. أجل لو عرف
أشابهه ودرس البيئة العربية لأنصفهم ولما عاب عليهم
ة محافظتهم على المرأة

المرأة والعمل

يرى وزير أن المرأة خلقت ضئيفة الجسم والتركيب لا تقدر
تحمل الأعمال الشاقة ومزاولها كالرجل، وأن الطبيعة إنما
نمها بهذه الكيفية لتقصر مهمتها على إدارة البيت وتربية
طفال؛ فعليها أن تنصرف بكليتها نحو هذه الغاية السامية
خلقت لها، وأن تجعل سعيها موجهاً نحو إغراء الرجل
له على الزواج منها، وبذلك تصبح شريكة له في مرأته وضرائه
ساحمة معه في حلول الحياة ومرها. أما إذا وكلت أمر بيتها
مالة أطفالها إلى من يقوم بهما تحت إشرافها وكانت فيها مواهب
رة على العمل والتفوق على الرجل فلا بأس من أن تمارس
ن كفو له من الأعمال على أن يكون ذلك لها من الأحوال
اذا لاقاعدة مطردة. فولز في هذا الموضوع بقف موقف